ذكر حال اشمويل وطالوت[1]

كان من خبر اشمويل[2] بن بالي أنّ بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء، وطمع فيهم الأعداء، وأُخذ التابوت منهم، فصاروا بعده لا يلقون ملكاً إلّا خائفين، فقصدهم جالوت ملك الكنعانيّين، وكان ملكه ما بين مصر وفلسطين، فظفر بهم، فضرب عليهم الجِزية، وأخذ منهم التوراة، فدعوا الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه، وكان سبط النبوّة هلكوا، فلم يبقَ منهم غير امرأة حُبْلَى، فحبسوها في بيت خيفة[3] أن تلد جارية فتبدّلها بغلام، لِما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها، فولدت غلاماً سمّته اشمويل، ومعناه: سمع الله دعائي[4].

وسبب هذه التسمية أنّها كانت عاقراً، وكان لزوجها امرأة أخرى قد ولدت له عشرة أولاد، فبَغَتْ عليها بكثرة الأولاد، فانكسرت العجوز ودعت الله أن يرزقها ولداً، فرحمَ الله انكسارَها وحاضت لوقتها، وقرب منها زوجها، فحملت، فلمّا انقضت مدّة الحمل ولدت غلاماً فسمّته اشمويل، فلمّا كبر أسلمته في بيت المقدس يتعلّم التوراة، وكفله شيخ من علمائهم وتبنّاه[5].

فلمّا بلغ أن يبعثه الله نبيّاً أتاه جبرائيلُ وهو يصلّي، فناداه بصوتٍ يشبه صوتَ الشيخ، فجاء إليه، فقال: ما تريد؟ فكره أن يقول: لم أَدْعُكَ، فيفزع، فقال: ارجعْ

(١) تاريخ الطبري ١/٤٦٧، عرائس المجالس ٢٠٦ وما بعدها، ابن وثيمة ٨٢، تفسير الطبري ٥/٢٩١ ـ ٣٧٢، زاد المسير ١/٢٩١ ـ ٣٠٠، الدر المنثور ١/٣١٣، مرآة الزمان ١/٤٦٧، نهاية الأرب ١٤/٣٨، تهذيب تاريخ دمشق ٥/١٩٠ (في ترجمة داود عليه السلام) و٧/٤٥، البداية والنهاية ٢/٥، تفسير ابن كثير ١/٥٣٣، البدء والتاريخ ٣/١٠٠، مروج الذهب ١/٥٤، ٥٥ تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٢٧، تاريخ اليعقوبي ١/٤٨، تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني ٨١.

(٢) هو «صموئيل» في التوراة ـ العهد القديم ـ سفر صموئيل الأول ـ الإصحاح الأول ـ ص ٤٢٦، وتاريخ المنبجي ١/٧٣.

(٣) في النسخة (ت): «رهبة» وكذلك في تاريخ الطبري ١/٤٦٧.

(٤) عبارة الطبري: «فسمّته سمعون تقول: «الله سمع دعائي».

(٥) قارن بعرائس المجالس ٢٠٧.

فنمْ. فرجع، فعاد جبرائيل لمثلها، فجاء إلى الشيخ، فقال له: يا بنيّ عُدْ فإذا دعوتُك فلا تُجبْني. فلمّا كانت الثالثة ظهر له جبرائيل وأمره بإنـذار قومـه وأعلمه أنّ الله بعثـه رسولاً، فدعاهم، فكذّبوه، ثمّ أطاعوه[١].

وأقام يدبّر أمرهم عشر سنين[٢].

وقيل: أربعين سنة[٣].

وكان العمالقة مع ملكهم جالوت قـد عظمت نكـايتهم في بني إسرائيـل حتى كادوا يُهلكونهم، فلمّا رأى بنو إسرائيل ذلك قالوا: **﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيـلِ الله. قَالَ: هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتَالُ ألاّ تُقَاتِلُوا؟ قَالُوا: وَمَا لَنَـا ألاّ نُقَاتِـلَ في سَبِيلِ الله وَقَـدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وأبْنَائِنَا﴾**[٤].

فدعا الله فأرسل إليه عصاً وقرناً فيـه دُهْن، وقيل لـه: إنّ صاحبكم يكـون في طولـه طـولَ هذه العصـا[٥]، وإذا دخل عليـك رجل فنشّ الـدُّهْن الذي في القـرن فهو ملك بني إسرائيل، فادهن رأسه به وملّكه عليهم، فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها[٦].

وكان طالوت دبّاغاً[٧].

وقيـل: كان سقّـاء يسقي الماء ويبيعـه، فضلّ حمـاره فانـطلق يطلبـه، فلمّـا اجتـاز بالمكان الـذي فيه اشمـويل[٨] دخـل يسألـه أن يدعـو له ليـردّ الله حماره، فلمّـا دخل نشّ الدُّهن، فقاسوه بالعصـا فكان مثلهـا[٩]، فـ **﴿ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إنّ الله قَـدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُـوتَ مَلِكاً﴾**[١٠].

وهو بالسريانيّة: شاول بن قيس بن أنمـار بن ضرار بن يحـرف بن يفتح بن ايش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق[١١].

---

(١) الطبري ١/٤٦٧، ٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.

(٢) عرائسن المجالس ١٠٨.

(٣) مرآة الزمان ١/٤٦٨، عرائس المجالس ١٠٨.

(٤) البقرة/٢٤٦.

(٥) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.

(٦) الطبري، عرائس المجالس.

(٧) عرائس المجالس ٢٠٩.

(٨) وورد «اشمويال» وهو تصحيف.

(٩) الطبري ١/٤٦٨، عرائس المجالس ٢٠٩.

(١٠) البقرة/٢٤٧.

(١١) اسمـه في عرائس المجـالس ٢٠٩: «شاول بن قيش بن أفيـل بن صـارو بن نحـورت بن أفيـح بن أنيس بن=

فقالوا لـه: ما كنت قطّ أكـذب منك السـاعة، ونحن من سبط المملكـة، ولم يؤتَ طالوت سَعَةً من المال فنتبعه [1].

فقـال اشمـويـل: ﴿إنّ الله آصْـطَفَـاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْـطَةً في العِلْمِ وَالجِسْمِ﴾ [2]. فقالوا: إن كنتَ صادقاً فأتِ بآية. فقال: ﴿إنّ آيَةَ مُلْكِهِ أنْ يَأْتِيَكُمُ التّابُـوتُ فِيهِ سَكِينَـةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ المَلائِكَةُ﴾ [3].

والسكينـة رأس هرّ، وقيـل طشت من ذهب يُغسل فيهـا قلوب الأنبيـاء، وقيـل غيـر ذلك، وفيه الألواح وهي من درّ وياقوت وزبرجد، وأمّا البقيّـة فهي عصا مـوسى ورُضاضـة الألواح.

فحملته الملائكةُ وأتت به إلى طالوت نهـاراً بين السماء والأرض والنـاس ينظرون، فأخرجه طالوت إليهم، فأقرّوا بملكه ساخطين وخرجوا معـه كارهين، وهم ثمـانون ألفـاً. فلمّا خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إنّ الله مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنّي، وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإنّهُ مِنّي﴾ [4].

وهو نهر فلسطين، وقيل: الأردنّ.

فشربوا منه إلّا قليلاً، وهم أربعة آلاف، فمن شرب منه عطش، ومن لم يشرب منه إلّا غرفة روي، ﴿فَلَمّا جَاوَزَهُ هُـوَ وَالّذِينَ آمَنُـوا مَعَهُ﴾ [4]. لقيهم جـالوت، وكـان ذا بأس شديد، فلمّا رأوه رجع أكثرهم و ﴿قَالُوا لا طَاقَـةَ لَنَا اليَـوْمَ بِجَالُـوتَ وجُنُودِهِ﴾ [4]، ولم يبقَ معه غير ثلاثمائة وبضعة عشر [5] عدد أهـل بدر، فلمّـا رجع مَنْ رجـع قالـوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإذْنِ الله، وَالله مَعَ الصّابِرِينَ﴾ [6].

وكان فيهم إيشى [7] أبو داود، ومعه من أولاده ثلاثة عشر ابناً، وكان داود أصغر بنيه، وقد خلّفه يرعى لهم ويحمل لهم الطعام، وكان قد قـال لأبيه ذات يـوم: يا أبتـاه ما أرمي

بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل».

(١) الطبري ١/٤٦٨، تفسير الطبري ٥/٣١٩.

(٢) البقرة/٢٤٧.

(٣) البقرة/٢٤٨.

(٤) سورة البقرة/٢٤٩.

(٥) في تاريخ الطبري ١/٤٦٩ «وتسعة عشر عدّة أهل بدر». وفي عرائس المجالس ٢١٢: «ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً» وفي حديث البراء بن عازب: «ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً».

(٦) البقرة/٢٤٩.

(٧) في مرآة الزمان ١/٤٧٢ «إيشا بن عويد».

بقذّافتي شيئاً إلّا صرعتُهُ. ثمّ قال له: لقد دخلتُ بين الجبال فوجدتُ أسداً رابضاً فركبتَ عليه وأخذتُ بأذنيه فلم أخفه، ثمّ أتاه يوماً آخر فقال: إنّي لأمشي بين الجبال فأسبّح فلا يبقى جبل إلّا سبّح معي. قال له: أبشِر فإنّ هذا خيرٌ أعطاكه الله.

فأرسل الله إلى النبيّ الذي مع طالوت قرناً فيه دُهن وتَنّور من حديد، فبعث به إلى طالوت وقال له: إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا الدُهن على رأسه فيغلي حتى يسيل من القرن، ولا يجاوز رأسه إلى وجهه، ويبقى على رأسه كهيئة الإكليل، ويدخل في هذا التنّور فيملأه. فدعا طالوت بني إسرائيل فجرّبهم، فلم يوافقه منهم أحد، فأحضر داود من رعيه، فمرّ في طريقه بثلاثة أحجار، فكلّمته وقلن: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت، فأخذهنّ فجعلهنّ في مخلاته.

وكان طالوت قد قال: مَنْ قتل جالوت زوّجتُه ابنتي وأجريت خاتمه في مملكتي.

فلمّا جاء داود وضعوا القرن على رأسه، فَغَلى حتى ادّهن منه ولبس التنّور فملأه، وكان داود مسقاماً أزرقَ مصفارّاً، فلمّا دخل في التنّور تضايق عليه حتى ملأه، وفرح اشمويل وطالوت وبنو إسرائيل بذلك، وتقدّموا إلى جالوت وتصافّوا للقتال، وخرج داود نحو جالوت وأخذ الأحجار ووضعها في قذّافته ورمى بها جالوت، فوقع الحجر بين عينيه فنقب[1] رأسه فقتله، ولم يزل الحجر يقتل كلّ مَن أصابه ينفذ منه إلى غيره، فانهزم عسكر جالوت بإذن الله، ورجع طالوت فأنكح ابنته داود وأجرى خاتمه في ملكه، فمال النّاس إلى داود وأحبّوه.

فحسده طالوت وأراد قتله غِيلةً، فعلم ذلك داود ففارقه وجعل في مضجعه زقّ خمر وسجّاه، ودخل طالوت إلى منام داود، وقد هرب داود، فضرب الزقّ ضربة خرقه، فوقعت قطرة من الخمر في فيه، فقال: يرحم الله داودَ ما كان أكثر شربَه الخمر[2]!.

فلمّا أصبح طالوت علم أنّه لم يصنع شيئاً، فخاف داود أن يغتاله فشدّد حجّابه وحرّاسه.

ثمّ إنّ داود أتاه من القابلة[3] في بيته وهو نائم، فوضع سهمَين عند رأسه وعند رِجلَيه[4]، فلمّا استيقظ طالوت بصُر بالسهام فقال: يرحم الله داود! هو خير منّي، ظفرتُ

---

(١) في النسخة (ر): «فثقب». والمعنى فَتّ. وفي طبعة صادر بالحاشية ١/٢٢٠ «فنقبت»، وهو يتفق مع الطبري ١/٤٧٣.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٢، ٤٧٣، وتفسير الطبري ٥/٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) في طبعة صادر ١/٢٢١ «المقابلة» وهو خطأ، والتصحيح من الطبري ١/٤٧٣.

(٤) في النسخة (ر): «عند رجليه ونزل».

به وأردتُ قتله، وظفر بي فكفّ عنّي[1]. وأذكى عليه العيون فلم يظفروا به.

وركب طالوت يوماً فرأى داودَ، فركض في أثره، فهرب داود منه واختفى في غارٍ في الجبل، فعمّى الله أثره على طالوت.

ثمّ إنّ طالوت قتل العلماء حتى لم يبقَ أحد إلّا امرأة كانت تعرف اسمَ الله الأعظم، فسلّمها إلى رجلٍ[2] يقتلها، فرحِمَها وتركها وأخفى أمرها.

ثمّ إنّ طالوت ندِم وأراد التوبة، وأقبل على البكاء حتى رحِمه النّاس، فكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويقول: أنشد الله عبداً علم لي توبةً إلّا أخبرني بها. فلمّا أكثر ناداه منادٍ من القبور: يا طالوت أما رضيتَ قتلتَنا أحياءً حتى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكاءً وحزناً، فرحمه الرجل الذي أمره[3] بقتل تلك المرأة فقال له: إن دللتُك على عالم لعلّك تقتله! قال: لا. فأخذ عليه العهود والمواثيق، ثمّ أخبره بتلك المرأة فقال: سلْها هل لي من توبة؟ فحضر عندها وسألها هل له من توبة؟ فقالت: ما أعلم له من توبة، ولكن هل تعلمون قبر نبيّ؟ قالوا: نعم، قبر يوشع بن نون. فانطلقت وهم معها، فدعت، فخرج يوشع، فلمّا رآهم قال: ما لكم؟ قالوا: جئنا نسألك هل لطالوت من توبة؟ قال: ما أعلم له توبة إلّا أن يتخلّى من ملكه، ويخرج هو وولده فيقاتلوا في سبيل الله، حتى تُقتل أولاده، ثمّ يقاتل هو حتى يُقتل، فعسى أن يكون له توبة. ثمّ سقط ميتاً.

ورجع طالوت أحزن ممّا كان، يخاف أن لا يتابعه ولده، فبكى حتى سقطت أشفار عينَيْه، ونَحَل جسمُه، فسأله بنوه عن حاله، فأخبرهم فتجهّزوا للغزو[4] فقاتلوا بين يديه حتى قُتلوا، ثمّ قاتل هو بعدهم حتى قُتل.

وقيل: إنّ النبيّ الذي بُعث لطالوت حتى أخبره بتوبته أَلْيَسَع.

وقيل: اشمويل، والله أعلم.

وكانت مدّة ملك طالوت إلى أن قُتل أربعين سنة[5].

---

(١) الطبري ١/٤٧٣.

(٢) كان خبّازاً، كما في تاريخ الطبري.

(٣) في النسختين (ت) و(ر): «وكله».

(٤) في النسخة (ر): «للغزو معه».

(٥) الخبر في تاريخ الطبري ١/٤٧٣ - ٤٧٥ وانظر: تاريخ سنيّ ملوك الأرض ٨١.